

بيان من الحزب الشيوعي السوداني

ذكري الانتفاضة

• أهم الدروس التي استخلصها شعب السودان من تجاربه في ثورة أكتوبر ١٩٦٤ وانتفاضة مارس/ أبريل ١٩٨٥، أن لا يبدل للعمل اليومي الصبور المثابر في كافة مواقع ومجالات مشاكل ومظالم الجماهير الحياتية اليومية المباشرة. ومن حصيلته ذلك العمل الدؤوب تتراكم طاقة الجماهير وتنمو قدراتها على الاحتجاج والصدام، متدرجة من عريضة المظالم ومذكرة المطالب، إلى الوفود والحشود والتظاهر والاضراب والعصيان. وعلى ذات النهج يواصل شعب السودان خطاه لتصفية نظام الجبهة الإسلامية الشمولي، عبر حركة جماهيرية أوسع من أن يحتويها حزب أو تنسب إليه، حركة لا تخضع للرجات الذاتية أو السيناريوهات المسبقة، حركة تفرز قيادتها من صفوفها ولا تتصاع للوصاية والوصاة!

• في ذكري الانتفاضة نرصد مواقع التوتر والاحتقان والتحفز في حركة الاحتجاج الجماهيرية، فتطالعا وفود القيادات النقابية الوافدة من الأقاليم لتحاصر اتحاد العمال الموالي للحكومة، لاتخاذ موقف موحد تجاه متأخرات الأجور للفترة ٩٨-٢٠٠١. ومتأخرات المعاشات والتأمين الاجتماعي والصحي وزيادة الأجور وتوحيد الهيكل الراتبى للعاملين في الحكومة المركزية والولايات، لكن الاتحاد كعادته، لجأ للمراوغة والمناورة، وبدلاً من اعلان الاضراب - سلاح العاملين المشروع - راح يلوح به عصاة عذر لامتناس غضب القواعد! لكن القواعد سوف تتخطاه، وقد تخطته بالفعل في عشرات الاضرابات التي نفذها العاملون في المرافق والمؤسسات التي شملتها الخصخصة، ويتخطاه المعلمون كل شهر عندما يتأخر سداد المرتبات.

• وفي حركة المزارعين في القطاعين المروي والمطري لجأ من تبقى من المزارعين لمخاطبة المسؤولين والسلطات مباشرة وبعراض تحمل توبيعاتهم، بعد أن فقدوا الثقة في القيادات التي فرضتها السلطة على الاتحادات، وسخرت مواقع القيادة ومؤسسات الاتحاد للثراء الذاتي، وانفضح أمرها في مؤتمر اتحاد عام مزارعي السودان في مارس المنصرم، حيث دار الصراع بين مجموعتين تتافستنا حول أيهما أكثر ولاء للحزب الحاكم وأولى بدعمه! ولم تعد حركة الاحتجاج محصورة في صغار المزارعين والمتوسطين، بل امتدت للراسماليين ورجال الأعمال المستثمرين في الزراعة الآلية، حيث نشرت الصحافة ٢٨-٣-٢٠٠٢ بياناً من القضاة صادر عن الحزب الاتحادي الديمقراطي، حيث دفعت سياسة الانقاذ اغلبية المزارعين إلى دائرة الإعسار نتيجة لسياسات التمويل، ثم الاعتقال والسجن، تمهيداً لإبعادهم عن الزراعة، ونزع المشاريع وإعادة توزيعها للموالين للنظام!

• وفي ذكري الانتفاضة، لا بد من تحية لحركة الطلاب السودانيين، التي صمدت في بسالة ونكران ذات في مواجهة عنف وقهر الإنقاذ، وجاءت بالشهداء مثلما جاءت بهم من أجل أكتوبر وأبريل وقد سجلوا أول انتصاراتهم باستعادة حقهم في انتخاب جهازهم النقابي. الاتحاد في جامعة النيلين وجامعة الخرطوم، ولن تتأخر بقية الجامعات في استعادة أو انتزاع اتحاداتها لمعالجة تشوهات ثورة التعليم العالي.

• في ذكري الانتفاضة، لا بد من كلمة إعرار وموقف تضامن مع الصحف المستقلة والصحفيين الذين صانوا شرف الكلمة ونزاهة القلم وحق التعبير. فتعرضت صحفهم للعقوبة الصامتة - الحرمان من الاعلانات الحكومية، ثم لأشد العقوبات فسوة وإيلاماً على الصحافة السودانية عبر تاريخها: عقوبة الغرامة، التي يعادل كل مليون جنيه منها صافي عائد توزيع ٢٠٠٠ عدد في اليوم دون خصم على مرتجع أو سداد تكلفة الورق والطباعة ومرتبات المحررين والعاملين وإيجار المكاتب.... والرسالة واضحة: إما أن تصبح الصحيفة داجنة مستأنسة ناعمة ملمس، أو تركب المركب الخشن! وقد ركبته ثلاث صحف، تعرضت الأولى لغرامة ٥ مليون جنيه، والثانية ٣,٥ مليون جنيه والثالثة ٨ مليون جنيه، وفتح بلاغ ضد الرابعة!

• لا يستقيم الاحتفاء بذكري الانتفاضة دون الإشادة بدور نقابة البنوك - العضو المؤسس للتجمع النقابي فجر الانتفاضة، واستعادة مواقفها ومذكراتها بعد الانتفاضة حول إصلاح النظام المصرفي! وقد خصتها حكومة الجبهة الإسلامية بجرعات مكثفة من التشريد من بنك الخرطوم وحده خلال السنوات الخمس المنصرمة ٢٢٨٠ موظفاً وموظفة، حسبما ذكرت صحيفة الصحافة ٢٥ مارس.

• إنعاش ذاكرة شعبنا بمآثر أكتوبر وأبريل، يسهم في استعادة الثقة في قدرات الحركة الجماهيرية، وتبديد حالة اللامبالاة التي اعقبت التفاؤل بقدرات "سحرية" للمبادرة المشتركة، التي آلت في نهاية المطاف إلى ما آلت إليه سابقتها ولاحقاتها من المبادرات، ثم انصياع حكومة الانقاذ "لوسيط" الفاعل الأمريكي، بعد أن كانت تكيد الاتهامات لمعارضيه بالعالة للقوى الأجنبية، وتبأى بانجازها اتفاقية السلام من الداخل مع الفصائل الجنوبية بإرادة سودانية خالصة دون توسط أجنبي!.

لا نقلل من حجم المهام، ولا نستخف بالمصاعب والعقبات، لكننا نثق في قدرات شعبنا ونسترخص التضحية من أجل الديمقراطية والسلام والوحدة والتنمية.